الهيكل الإداري للمستشفيات((البيمارستانات ، دور الشفاء)) في الدولة العربية الإسلامية للفترة (١هـ / ٦٢٢ م – ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م)

"دراسة تاريخية"

د.محمد احمد هربود حمد العيساوي
جامعة تكريت /كلية التربية / قسم التاريخ

المقدمة

الإرث الحضاري العربي الإسلامي ، ذو مساحة لا أبعاد لها ، فألفت نظري عمق تلك المساحة الشاسعة من المجال الذي بإمكان الإنسان أن يعمل فيه على أن لا يستطيع تجاوزه لكي يصل إلى الحكمة بعمقها الإداري الذي من خلاله استهواني موضوع بحثنا هذا بإطار يمتزج فيه ماتم ممارسته قبل اكثر من أربعة عشر قرناً مضت ووقتنا المعاصر ليكون عملنا حصيلة الترابط آنذاك واليوم في الهيكل الإداري للمستشفيات ((البيمارستانات أو دور الشفاء)) في الدولة العربية الإسلامية للفترة (١ هـ / ٦٢٢ م – ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م) ، لما لذلك بالغ الأهمية لأجل التعرف على تلك المؤسسات الإدارية في مجال الطب والتعامل الإنساني معها وفلسفة العمل من خلالها .

تضمن هيكل البحث على مبحثين :-

المبحث الأول : تم التطرق من خلاله إلى :

١. الطب عند العراقيين القدماء .
٢. الطب عند العرب قبل الإسلام .
٣. الطب في صدر الإسلام .

المبحث الثاني :

تم التعرف فيه على ما حصل في الدولة العربية الإسلامية للفترة (١ هـ / ٦٢٢ م – ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) على وفق .

١. الهيكل الإداري للمستشفيات ((البيمارستانات أو دور الشفاء)) .
٢. خزانة الشراب (الصيدلية)
٣. أنواع المستشفيات ((البيمارستانات أو دور الشفاء)) .
٤. الإجازة والتعيين في الطب .
٥. صفات الطبيب وآدابه .
٦. بعض البيمارستانات في بيت المقدس .

فكان للمصادر الأمهات اثر كبير في رفد محتويات البحث بالمادة العلمية ذات المساس المباشر أو القريب من ذلك ، وبالمقابل تم التعرف على عدد من المراجع العربية لإحتواء المادة العلمية للبحث . من ثم خاتمة البحث وقائمة المصادر والمراجع والسؤال من الله التوفيق في ماتم تقديمه ، والحمد لله

إن كنت اتبعت الحكمة قاصداً قول الحق للوصول إلى الحقيقة ، ومعذرة إن كان الأمر على غير ذلك والسلام على المرسلين وخاتم النبيين .

المبحث الأول :

١. الطب عند العراقيين القدماء.

احتاج الإنسان القديم إلى معالجة الأجسام التي تخرج عن نشاطها الطبيعي ، وبعد ملاحظات وممارسات امتدت ألوف السنين نشأ الطب الفطري المبني على الظن ، فتوارثت صناعة التطبيب التي يظنون بها على جمهور الناس من الحكماء والكهان والسحرة والمتقدمون في السن آنذاك[١] .

وذكر العلوجي (إن المؤرخ الإغريقي هيرودوت اشار إلى إن البابليين كانوا يعرضون مرضاهم في الطرقات العامة والأسواق والساحات كي يتصل بهم المارة فيشاهدوهم فقد يتعرف المشاهد إذا مرت به سابقة بنفس المرض فيرشد المريض إلى اتباع السائل المعينة على شفاؤه ، وكانوا يكتبون الوصفات ويعلقونها على جدران الهياكل للاستفادة منها في العلاج) (٢). ويؤكد الشطي إن المدينة البابلية الآشورية ظلت مسيطرة من سنة ٤٠٠٠ ق.م إلى سنة ٣٠٠ ق.م وكان الطب أهم ما عنيت به تلك المدينة وطبهم مدوناً في الهياكل العظمية التي بقيت في العصور القديمة (٣). والزم الإنسان القديم الحاجة إلى معالجة الجروح والكسور لكثرة المعارك ولتعرضه للوحوش المفترسة . وقد وجد في الهياكل العظمية وفي المومياءات التي بقيت في العصور القديمة آثار عمليات في الأطراف والصدر والجمجمة أيضاً تدل على براعة كبيرة في الجراحة [٤] .

وأشار ابن خلدون، في حقل اهتمامه بالطب إلى إن انتقال العرب من حالة البداوة إلى حالة الحضر والاستقرار في الأمصار والأخيرة تحتاج إلى صناعة الطب اكثر من البادية مما يجعل الأمصار بحاجة إلى الطبيب لوقوع الأمراض فيهم لكثرة أكلهم وفساد بيئتهم(٥). وما كان في وادي الرافدين (ما بين النهرين) ثلاثة مذاهب للمعالجة ، المعالجة بالنصح (الطب الوقائي اليوم) ، والمعالجة بتشخيص المرض ووصف الأدوية النباتية والحيوانية والمعدنية (الطب المزاجي ، الطبيعي) ، والمعالجة بالسحر والطلاسم (الطب النفسي) [٦] .

وقد أشارت قوانين حمورابي إلى أجور الأطباء التي يتقاضونها وحذرت الأطباء من الوقوع في الخطأ ... والجهاز الطبي مرتبطاً بالملك نفسه [٧].

ونضمت شريعة حمو رابي (نحو ١٩٥٠ ق.م) صناعة الطب فحددت أجور الأطباء وجعلت الأطباء مسؤولين عن الأخطاء التي يرتكبونها ثم فرضت عقوبة على المراضع اللواتي يقصرن في العناية بالرضع الذين يعهد إليهن بهم ، وعرف البابليون التشريح كما عرفوا انواعاً من التشويه تطرأ على الإنسان والحيوان ، ودرسوا الكبد دراسة مفصلة لإعتقادهم انه رئيس جميع الأعضاء والمسيطر عليها وانه مركز العاطفة ، وكان القلب عندهم مركز العقل [٨]. مما تقدم ذكره دلالات واضحة مبرهنة بوجود أرضية وقاعدة علمية عراقية قديمة .

٢. الطب عند العرب قبل الإسلام.

للعرب قبل الإسلام حضارة نشأت في وسط منطقة تمتد من حدود الإمبراطورية الفارسية عند مشارف الهند شرقاً إلى حدود الإمبراطورية الرومانية عند شواطئ المحيط الأطلسي غرباً ، تقع شبه الجزيرة العربية في النصف الجنوبي الأوسط ، وقد بدأ أقدم دور حضاري كبير في منطقة نشوء الحضارات فعلاً في القسم الأوسط من المنطقة ، لكنه ابتدا في النصف الشمالي منها ، في مصر ، وادي الرافدين ، وسوريا [٩] . وما أشارت إليه كل الدراسات القديمة وجود الحضارة العربية – وتؤكد أصالتها في الفترة التي سبقت الإسلام ، وتبرهن على تطورها وازدهارها وإبداعها وابتكاراتها واتجاهها وجهة إنسانية شملت مختلف نواحي الحياة بما في ذلك الطب والصيدلة [١٠] . وعرف العرب قبل الإسلام الطب وان آثارهم التي تدلنا على وجود مدنيات قديمة دلالة على إن الطب يساير تلك المدنيات [١١].

وأشار ابن خلدون ، وللبادية من أهل العمران طب يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثاً عن مشايخ الحي وعجائزه وربما يصح منه البعض إلا انه ليس على قانون طبيعي ولا على موافقة المزاج وكان عند العرب من هذا الطب كثير وكان فيهم أطباء معروفون كالحارث بن كلدة وغيره(١٢) ، ومن جراحين العرب ابن ابي رمثة ومن بيطرييهم العاص بن وائل [١٣] .

والعرب آنذاك أطلقوا لفظة حكيم على الطبيب وعرفوا الجراحة والتحنيط واستخدموا الحشيش والأفيون للتخدير عند إجراء العمليات ، وكان أهل المريض إذا عجز الأطباء عن مداواة مريضهم – يضعونه في الأماكن العامة رجاء أن يمر به من كان قد أصيب بمثل ما به فيصف له العلاج الذي كان قد شفاه [١٤]. وعرفوا نوعين من الطب ، طب كهنوتي هيأته لهم معتقداتهم الدينية وكان يقوم به الكاهن والعرافة ، وطب توصلوا إليه من خبرتهم اليومية بالاستعانة بالعقاقير في العلاج ، ومن العمليات لجراحية التي كانت تستخدم الحجامة [١٥] .

واكثروا الكي بالنار التي تقوم مقام المطهرات [١٦].

يستدل مما تقدم إن الحضارة العربية قائمة بكل أشكالها وعلومها ، فان الطب أحد علومها مارسه العرب قبل الإسلام حسب معرفتهم وحاجتهم إلى ذلك مسترشدين بالحالات والحوادث التي وقعت وتحت مناقلتها عبر الأجيال .

٣. الطب في صدر الإسلام

نرى مما تقدم الكلام عنه ان هناك اتصال مباشر للممارسات في مجال الطب لدى العرب في العراق القديم وقبل الإسلام ، وهذا يدلنا على وجود الكفاءة وتدبير الأمور ليس في مجال الطب والصحة فحسب بل يتخطى الأمر إلى علوم أخرى في حياة العرب .

فأشار الطويل ، عند مجيء الإسلام واعتناق الدين الإسلامي في هذا المجال ((لما اعتنق الناس الإسلام لم يجدوا في الاشتغال بالطب خطراً يهدد عقيدتهم ، وابطل الإسلام الكهانة

والعراقة إذ لا كهانة بعد النبوة ، ولم تعد صناعة الطب إلى رجال الدين ، فبطل الطب الذي يمارسه الكهان وتمهد الطب إلى طب خبرة أكثر وعياً))(١٧) .

وكان من الأطباء الذين اشتهروا بذلك ومارسوا العمل به قبل الإسلام واستمروا بالطب بعد مجيء الإسلام ، الحارث بن كلدة الثقفي من عرب الطائف ، فالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) كان يوصي بالتطبيب عنده (١٨) . فالطب في ظل الدين الإسلامي أولى رعاية نبوية لقيمته الدينية والدنيوية وردت أحاديث نبوية شريفة توصي بالتطبيب والطب فورد فيها : قال الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) ((تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا الهرم)) (١٩). وقوله (صلى الله عليه وسلم) ((العلم علمان ، علم الأديان وعلم الأبدان))(٢٠).

وذكر الشطي ، إن هناك أطباء مارسوا الطب قبل الإسلام واستمروا في ممارسته بعد مجيء الإسلام ، النضير بن الحارث و ابن كلدة الثقفي والشرمول بن قباب الكعبي النجراني وضماد بن ثعلبة الازدي وزينب طبيبة بني اود وخبيرة بالعلاج والجراحات والشفاء وأم عطية الأنصارية عرفت بالجراحة وكانت تداوي الجرحى وتقوم على المرضى(٢١) .

فالطب في الإسلام اتسعت أبعاده فلم يكن مختصراً في العمل بالمجال الاجتماعي المدني للمسلمين ، بل اخذ الطب براعة أخرى في المجال الحربي و العسكري ، فأقام الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) في خيمة لامرأة من اسلم اسمها رفيدة في مسجده كانت تعالج الجرحى وتخدمهم ، فعالجت سعد بن معاذ (هو صحابي جليل ومن اوائل المسلمين) من سهم بناءً على أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ((اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعود من قريب)) (٢٢) .

بلا ريب يستدل مما تقدم ذكره البذرة الاولى والنواة الاولى للهيكل البسيط للمؤسسة الصحية المستشفى صرح به الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) والقائم بادارة هذه المؤسسة الصحية البسيطة الهيكل هي رفيدة امرأة من قبيلة اسلم اول ممرضه بالاسلام تداوي الجرحى وتسهر على المصابين،وكان الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) اول من امر بناء بيمارستان متنقل اي مستشفى حربي اثناء معركة الخندق عام (٥ ه) ، واستمر سياق العمل الطبي وبصورة اقل تعقيداً واكثر تبسيطاً في صدر الاسلام . أما الأمر الرسمي في اقامة اول مستشفى مدني كما ذكر الطبري ، اول من قام في الاسلام مستشفى وبهيكلها الاداري أو دار المرضى الوليد بن عبد الملك (ت ٨٨ هـ / ٧٠٦ م) رابع الخلفاء في العصر الاموي بالدولة العربية الاسلامية وجعل له الاطباء أجرى لهم الارزاق وامر بحجر المجذومين (اي مرض الجذام) لئلا يخرجوا أجرى عليهم وعلى العميان الارزاق(٢٧) .

نستنتج من جراء ذلك أخذ الهيكل الاداري للمستشفى طبيعته التنظيمية من تحديد المسؤوليات والوظائف بالهرم الاداري من تعيين الاطباء والكادر الاداري وحسب المسؤوليات الادارية ولو بشكل مبسط بدءاً من العناية والاسكان وتوفير الاطعام لهم .

وعند مرض الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (ت١٥٩ هـ / ٧٧٥ م) ثاني خلفاء العباسيين في الدولة العربية الاسلامية مرضاً أفقده شهية الطعام وأخفق أطباءه في علاجه استدعى في

عام ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م إلى بغداد جورجيس بن بختيشوع رئيس اطباء ونجح في علاج المنصور فأبقاه عنده وعمل ستة من أسرته على مدى ثلاثمائة عام في الطب عند بني العباس [٢٤] . وأشار العلوجي، (إن المنصور اول خليفة حدد المنهج لمن بعده في تشييد المستشفيات أو دور الشفاء ، واسس الرشيد والخلفاء من بعده ما أسسه المنصور في هذا الصدد (٢٥) .

المبحث الثاني

١. الهيكل الإداري للمستشفيات ((البيمارستانات أو دور الشفاء)) .

من (١هـ/ ٦٢٢ م–٦٥٦هـ/ ١٢٥٨ م) .

التسمية التي أطلقت على المكان الذي يستقبل فيه المرضى أو الجرحى في صدر الإسلام ،وهو هيكل مبسط إداري بعد فترة صدر الإسلام استعمل عليه مصطلح دور الشفاء أو المصحة والتي هي في يومنا الحاضر المستشفى ، أما تسمية البيمارستانات فيدل لفظها على أنها كلمة غير عربية وهي مكونة من جزئين (بيمار) وتعني مريض أو عليل و (ستان) وتعني مكان ودار فهي إذاً دار المرضى[٢٦] .

و أشار ابن منظور، البيمارستانات أو المارستان شيء واحد من المعنى اللغوي والاصطلاحي يدلان على انهما مكانين يستقبلان المرضى على اختلاف درجات المرضى لغرض الشفاء منه ويمكن أن نسميها دور الشفاء والشفاء دواء معروف وهو ما يبريء من السقم ... اذا وصف له دواء يكون شفاءه فيه ، والسقم هو المرض ... والمرض داء يصيب الاحياء من إنسان وحيوان ونبات (٢٧) .

فما سبق ذكره يوصلنا إلى أن بدايات المستشفيات من خيمة رفيدة من قبيلة اسلم ، وبعدها إلى مكان يحدد لايواء المرضى والجرحى قد يكون ثابت أو متنقل ، وما تلى ذكره استقر الأمر بتجديد معالم دور الشفاء أو المستشفى في العصر العباسي ، والأمر يوجب علينا أن نتبع الهيكل التنظيمي الاداري في المستشفيات .

وقد اشار ابن الجوزي ، إن البناء من السعة أولا في المستشفيات(البيمارستانات) وان الأقسام أو القاعات التي يتكون منها البيمارستان تفرض أن تكون لها إدارة ذات هيكل إداري واضح ، ورتب فيه الاطباء والمعالجون والخزان والبوابون والوكلاء الناظرون(٢٨). وتحليلاً لهذا الهرم الاداري فالبيمارستان الواحد يضم في داخله هذه الدرجات الوظيفية ، فالناظرون هنا هم جمع ناظر مأخوذة من الفعل نظر ، أي حسن العين ونظر القلب وتأتي بمعنى الحافظ [٢٩] . يستدل من ذلك الناظر هو العين والحافظ لكل شيء يكون تحت بصره لإدارة مستشفاه .

وقد أورد ابن أبي أصيبعة ، يمكن تحليله على ما أورده فيما يسمى اليوم بالهيكل الاداري للمستشفى على وفق ما يلي :–

١. ناظر البيمارستان ((المستشفى)) وهو المدير ويكون تحت ادارته كل من :

أ. ناظر قاعة الكحالة (العيون) مدير قاعة الكحالة والعيون .

ب. ناظر قاعة التجبير (العظام) مدير قاعة الكسور والعظام .

ج. قاعة للامراض الباطنية مدير الباطنية .

وقد تم تقسيم قاعة الاقسام الباطنية إلى الاقسام التالية ولكل قسم ناظر (مدير) :

اولا. ناظر قسم المحمومين (الحمى) رئيس قسم المحمومين .

ثانيا. ناظر قسم المبرودين (المتخومين) رئيس قسم المبرودين .

ثالثا. ناظر قسم الممرورين (الجنون السبعي) رئيس قسم الممرورين (المجانين)(٣٠) .

وما اشار إليه ابن الجوزي السالف الذكر إلى المعالجين الذين يقومون بعناية المرضى ، كما هم اليوم الممرضين ، وأما الخزان وهم المسؤولين عن مخازن تخزن فيها المواد التي تخص المستشفى ، وكذلك البوابون فهم الاشخاص القائمون على ابواب الاقسام الداخلية والخارجية للمستشفى وبالامكان يطابق عملهم الفراشون اليوم(٣١) .

٢. خزانة الشراب (الصيدلية) .

كلمة خزان وهي جمع لـ(خازن) ، والخزانة اسم الموضع الذي يخزن فيه الشيء ... والخزانة عمل الخازن بفتح الزاي يخزن فيه الشيء [٣٢] .

واشار القلقشندي ، إن شيئا ما يوضع في المخزن يتعلق بالمكان الذي يقع فيه لخدمته ولا بد أن يكون الدواء جاهزاً عند الوصف والطلب ويصرف في قسم أو مكان ملحق بالمستشفى (البيمارستان) سمي بخزانة الشراب . فالأمر اصبح واضحاً للاعيان في تبيان الهيكل الاداري لمستشفيات ((البيمارستانات أو دور الشفاء)) في الدولة العربية الإسلامية حتى نهاية العصر العباسي الثاني (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) (٣٣) .

٣. أنواع المستشفيات ((البيمارستانات ، دور الشفاء)) .

بلا ريب ما توصلنا إليه في بحثنا هذا من خلال ما تقدم ذكره وما أشارت إليه النصوص بصدد انواع المستشفيات ((البيمارستانات ، دور الشفاء)) فتم توزيعها إلى ثلاثة انواع هي :

أ. البيمارستان ((المستشفى)) المحمول :

أشار ابن أبى اصيبعة ، البيمارستان المحمول هو المتنقل الذي ينقل من مكان إلى آخر حسب الظروف الصحية التي تمر بها البلاد عند الحرب أو انتشار الأوبئة والأمراض وكان هذا النوع من البيمارستان معروف منذ صدر الاسلام(٣٤). ويؤكد ابن خلكان ، إلا أن هناك بيمارستانات متنقلة يستعملها السلاطين في تنقلاتهم السلمية والحربية (٣٥) .

ب. البيمارستان ((المستشفى)) الثابت :

أي المستقر في مكان وبناء ثابت مشيد محدد المعالم لا يمكن نقله ، وهو موجود في كثير من البلدان الاسلامية وبالفترة التي اعقبت صدر الاسلام ، واستخدمت مثل هذه المستشفيات في العواصم الكبرى كبغداد ، ومن هذه المستشفيات التي اقيمت في بغداد هو مستشفى ((بيمارستان)) باب محول(*) [٣٦] .

ج. البيمارستانات ((المستشفيات)) التعليمية :

لابد من استدراج الكيفية المبسطة عند الاطباء القدامى العرب في معالجة المرضى واسلوب تعليم من يروم العمل في المجال الطبي الذين يجلسون عند معالجة الحالات المرضية بين يدي اولئك الاطباء . فكان جالينوس (ت ٢٠٠م) اشهر الاطباء القدامى عند العرب بارعاً في التشريح وكان يرى علم التشريح ضروري في جميع فروع الطب وركن اساسي في المداواة . ولم يتقيد جالينوس في التطبيب بمذهب واحد من المذاهب التي كانت سائدة في أيامه بل كان يعالج كل مريض يأتي إليه بالطريقة التي يراها أفضل له ، ولجالينوس فضل في انه حاول أن يجعل التطبيب علماً تجريبياً قائماً على اسس عقلية [٣٧]. ويستدل بذلك إن التطبيب مهنة تمارس بالتعليم وان كان الأمر على بساطة المركز التعليمي أي ((المكان الذي يتم ممارسة التطبيب فيه)) فالهدف واحد قاصدين الوصول إليه .

ويشير ابن ابي اصيبعة ، ان البيمارستانات (المستشفيات ، دور الشفاء) كانت للتطبيب وللتعليم فذكر ،((بعدما يفرغ الحكيم مهذب الدين والحكيم عمران من معالجة مرضاه المقيمين بالبيمارستانات وأنا معهم اجلس مع الشيخ رضي الدين الرجي فأعاين كيفية استدلالاته على الأمراض وجملة ما يصفه للمرضى وما يكتب لهم وابحث معه في كثير من الامراض(٣٨) . وطلبة الطب كانوا يتلقون علوم الطب على اساتذتهم في البيمارستانات فتهيئ لهم اماكن خاصة مجهزة بالكتب والآلات احسن تجهيز فيجلسون بين ايدي أساتذتهم بعد تفقد المرضى واعطاء العلاج [٣٩] .

٤- الإجازة والتعيين في الطب .

في اول عهد الدولة العربية الاسلامية الاطباء يكتفون لممارسة التطبيب بقراءة الطب على أي طبيب نابه في عصره حتى اذا تكونت له القدرة من نفسه على مزاولة الطب باشر دون قيد أو شرط [٤٠]. وما حصل في خلافة المقتدر بالله عندما مات أحد الرجال نتيجة خطأ التشخيص وذلك في سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م ، مما جعل الخليفة أن يصدر أمراً باختبار كل من يريد ممارسة التطبيب للحصول على اجازة ممارسة الطب واشرف على ذلك سنان بن ثابت رئيس الأطباء في وقته [٤١] .

وأشار ابن الأزرق ،أن الخليفة هارون الرشيد (ت ٢٢٩ هـ / ٨٤٣ م) قد أجرى اختباراً بسيطاً لطبيبه جبريل بختشيوع أمام جماعة من الاطباء يتعلق بالبول ، فأجتازه جبريل(٤٢) .

واما أمر التعيين فالطب مهنة لها مواصفاتها وشروط خاصة وهي من المهن الشريفة وتشاركها في ذلك مهنتي الكتابة والتوليد ،ويمكن اعتبارها من المهن ذات الطابع العقلي تتعلق بجسم الانسان في علاجه وكشف أسراره ولكونها ذات علاقة قيمة في حياة الانسان كان التعيين في البيمارستانات بمرسوم [٤٣]. والمتتبع الحال في الاوامر الخاصة بتعيين الاطباء في عصرنا الحاضر لوجدنا تطابق الإجراءات في اصدار اوامر تعيين الاطباء من الجهات ذات العلاقة . واما من حيث الأجر (الراتب) فقد اشار القلقشندي ، تخصيص للطبيب راتب يختلف من واحد لآخر حسب علومه (٤٤) .

٧. صفات الطبيب وآدابه

وضع العرب في آداب الطبيب كتب كثيرة في مقدمتها ، المدخل لإبن الحاج (ت ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م) ، ومعالم القربى في احكام الحسبة لإبن الاخوة (ت ٧٤٠ هـ/ ١٣٢٠ م) ، والتزم بهذه الاحكام جمهرة الاطباء وبلا ريب ما يؤديه الطبيب اليوم الذي يتخرج من المؤسسة الطبية يؤدي قسماً مناط إليه بالالتزام بالقيم والاخلاق والمباديء العامة والانسانية اتجاه نفسه والاخرين وهذا ما له علاقة متصلة بجذور الأمة العربية المتمثلة بالقيم الاخلاقية والاسلامية بعد مجيء الدين الاسلامي ، وقد اورد إلينا الدكتور عمر فروخ .العهد أو (القسم ، اليمين) لأبقراط * كان يؤخذ على المتعلمين قبل أن يبوح لهم بأسرار التطبيب .

وهذا العهد موجز : ((إني اقسم بالله رب الحياة والموت وواهب الصحة وخالق الشفاء ... أن أفي بهذه اليمين ، وان اعد الذي علمني هذه الصناعة بمنزلة آبائي وأواسيه في معاشي ، وان احتاج إلى مال واسيته من مالي ... واقصد في جميع التدبير ، بقدر طاقتي ، منفعة المرضى، واما الاشياء التي تضر بهم ، بحسب رأيي فلا أفعلها . ولا أعطي دواءً قاتلاً ولا أشير به ، ولا أدني من النساء فرزجة ((شيء تتخذه النساء للمداولة)) تسقط الجنين ، واحفظ نفسي في تدبيري على الطهارة (والامانة) ، ولا اشق مثانة ((كيس في الحوض يتجمع فيه البول رشحاً من الكليتين)) أحد اذا لم يكن ذلك من اختصاصي ، ولكن اترك ذلك لمن كان هذا العمل حرفة له ، وادخل إلى جميع المنازل لمنفعة المرضى فقط ولا اقصد ايقاع ظلم أو فساد لأحد ، واما ما أراه واسمعه في أوقات علاج المرضى وفي غير اوقات علاجهم ، ما يتعلق بحياة الناس وتصرفاتهم – فلا أتكلم به ابداً ...)) (٤٥) .

٦ .بعض البيمارستانات في بيت المقدس

كانت هذه البيمارستانات بمثابة مدارس عاليه للطب في ازدهار الحركه الفكريه والعلميه في بيت المقدس لانها تعد من معاهد العلم، وسنذكر بعض هذه البيمارستانات في بيت المقدس حسب ما توفر بين أيدينا من مصادر ومراجع.

١.بيمارستانات الوليد بن عبد الملك(٨٨هـ/٧٠٦م)

أول من اتخذ البيمارستان في بلاد الشام بشكل عام ،وفي بيت المقدس بشكل خاص للمرضى،وهو أول من عمل دار ضيافه ، وجعل فيه الاطباء وخصص لهم الارزاق (٤٦).

٢.مستشفى شارل(في القرن الثالث الهجري)

أسس هذا المستشفى في القدس الملك شارل مان في زمن العباسيين (٤٧) .

٣.البيمارستان الفاطمي(٣٩٥هـ/١٠٠٩م)

أنه اول مستشفى أسس في بيت المقدس وهو من المعاهد العلميه الكبرى التي أسسها الفاطميون في هذه البلاد(٤٨).

٤.مستشفى القديس مار يوحنا(٤٤٠هـ/١٠٥٣م)

أقيمت قديما في العهد البيزنطي في العام ٤٥٠م، وأقيمت في مقر كنيسة يوحنا المعمدان الواقعه في الشارع المؤدي الى حارة النصارى،والواقع أن دير مار يوحنا فيه كنيستان،التي تحت الارض هي التي بنيت عام ٤٥٠م وطرازها بيزنطي والاخرى بنيت عام ٤٤٠هـ/١٠٥٣م.وعندما استرد صلاح الدين القدس أعاد بناء هذا المشفى مع ما أعاده من الابنيه الاخرى،والمشفى اليوم هو لامراض العيون وتديره جمعيه بريطانيه(٤٩).

٥.بيمارستانات الفرسان أو جمعية فرسان المستشفى أو كنيسة ومستشفى فرسان القديس يوحنا (٤٩٣هـ/١١٠٧م)

اصبح مقر هذه الجمعيه مئوى ينزل به الحجاج بين يافا والقدس وكذلك المرضى من المسيحيين(٥٠) .

٦.البيمارستان الصلاحي(٥٨٣هـ/١٢٠٠م)

الذي أنشأه البطل صلاح الين الايوبي بعد تحرير بيت المقدس عام ٥٨٣هـ/١٢٠٠م، وأبتدأ العمل فيه بعلاج المرضى،وصناعة الادويه،وتدريس طلبة الطب(٥١).

٧.بيمارستان عكا(٥٨٣هـ/١٢٠٠م)

بعد أن حرر صلاح الدين الايوبي بيت المقدس عام ٥٨٣هـ/١٢٠٠م توجه الى عكا ونزل بقلعتها،فقد أوكل عماراتها،وتجديد محاسنها الى (بهاء الدين قراقوش)،الذي جعل دار الاسقف مارستانا، واقام دور للبائسين،ومئوى للضعفاء،وأصحاب العاهات،هي من أمارات الحضاره ودلائل ارتقاء الانسان(٥٢) .

الخاتمة

فيما سبق ذكره في بحثنا هذا اوصلنا إلى :

- ❖ مارس العرب الاقدمين الطب ولو بالشكل المبسط واستمر التطبيب يتطور تدريجياً وباسلوب تجريبي علمي اكثر وضوحاً في صدر الاسلام واخذ الأمر هكذا إلى يومنا هذا .
- ❖ الهيكل الاداري التنظيمي للمستشفيات ((البيمارستانات)) عند العرب الاقدمين غامض الوضوح ، وفي صدر الاسلام استتار الوضوح للهيكل الاداري للمستشفيات بشكل مبسط ، أما في الفترة التي تلت صدر الإسلام أخذت معالم المستشفيات تكون كاملة المعالم والدلالة والبناء وحسب امكانيات تلك المرحلة .
- ❖ اوصلتنا هذه الدراسة إلى التخصص الطبي في الدولة العربية الاسلامية كان واضحاً ، وتنوعت المستشفيات من حيث الاستعمال كالمنقولة والمستقرة (الثابتة) والتعليمية .
- ❖ وجود ترابط وثيق في علم الادارة وعلم الطب كان جلياً في الدولة العربية الاسلامية ، وهذا ما يدل على اهتمام الأطباء آنذاك بالإدارة وبما يقابل ذلك ما يسمى اليوم بالادارة الطبية .
- ❖ اهتمام الاطباء العرب والمسلمين بالجانب الادبي والانضباط والاخلاق الفاضلة التي يجب أن يتحلى بها من يمارس الطب واداء الطبيب القسم أو اليمين دلالة على امتهان الطب من المهن الشريفة ذات القيم الانسانية العليا .

الهوامش

(١) فروخ ، عمر ، تاريخ العلوم عند العرب ، مطبعة دار العلم للملايين ، الطبعة ٣ ، (بيروت ، ١٩٨٠ م) ، ص٨٢ .

(٢) عبد الحميد ، تاريخ الطب العراقي ، مطبعة أسعد ، (بغداد ، ١٩٦٧ م) ، ص١٣٤ .

(٣) تذكرة في تاريخ الطب ، ص١٤٣ .

(٤) فروخ ، عمر ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص٨٣ .

(٥) المقدمة ، ص٤١٥ ، ص٤١٦ .

(٦) فروخ ، عمر ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص٨٤ .

(٧) الشطي ، تذكرة في تاريخ العرب ، ص٤ .

(٨) فروخ ، عمر ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص٨٤ ، ص٨٥ .

(٩) يحيى ، لطفي عبد الوهاب ، العرب في العصور القديمة ((مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الاسلام)) الطبعة الثانية ، مطبعة دار النهضة العربية ، (بيروت ، ٩٧٩) ، ص ٣٣ .

(١٠) معروف ناجي ، أصالة الحضارة العربية ، (بغداد ، ١٩٧٥ م) ، ص٦٥ .

(١١) الشطي ، شوكت ، تذكرة في تاريخ الطب قبل الإسلام ، (دمشق ، ١٩٥٩) ، ص١٣٨ .

(١٢) المقدمة ، ص٤٩٣ .

(١٣) الطويل ، توفيق ، في تراثنا العربي الاسلامي ، مطبعة الرسالة ، (الكويت ، ١٩٨٥ م) ص١١٩ .

(١٤) فروخ ، عمر ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص٨٤ .

(١٥) الحجامة ((شق العرق ليستخرج الدم)) . ينظر ابن منظور لسان العرب ، مجلد ٢ ، ص١١٠٠ . مادة حجم .

(١٦) الطويل ، توفيق ، في تراثنا العربي الاسلامي ، ص١١٩ .

(١٧) في تراثنا العربي الاسلامي ، ص١١٩ ، ص١٢٠ .

(١٨) الشطي ، تذكرة في تاريخ الطب ، ص١٤٣ . ينظر العلوجي ، عبد الحميد ، تاريخ الطب العراقي ، ص١٣٤ .

(١٩) مسلم ، بن حجاج القشيري ، (ت ٢٦١ هـ/ ٨٧٤ م) ، صحيح مسلم ، بشرح الإمام النووي ، المطبعة الكبرى الأميرية ، (مصر ، ١٩٠٥ – ١٩٠٦م) ، ج٥ ، ص١١٢ .

(٢٠) م . ن ، ج٦ ، ص٢٢٠ .

(٢١) تذكرة في تاريخ الطب ، ص ١٤٢ .

(٢٢) ابن هشام ، أبو محمد بن عبد الله ، سيرة النبي ، راجع اصولها محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط١ ، مطبعة حجازي ، (القاهرة ، ١٩٣٧ م) ، ج٣ ، ص٢٥٨ .

(٢٣) محمد بن جعفر بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطابع دار ف ، (القاهرة ، ١٩٧٩) ، ج٦ ، ص٤٩٦ .

(٢٤) الطويل ، في تراثنا العربي الإسلامي ، ص١٢٣ .

(٢٥) عبد الحميد ، تاريخ الطب العراقي ، ص١٣٦ .

(٢٦) عطية الله ، احمد ، القاموس الاسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط١ ، (القاهرة ، ١٩٦٣ م) ، مجلد١ ، ٤١٣ .

(٢٧) جمال دين بن كرم لسان العرب المحيط ، دار لسان العرب ، بلا طبعة – بلا مكان ن مج٢ ، ص٣٣٧ ، مج٢ ، ص١٦٦ ، مج٣ ، ص٤٦٩ .

(٢٨) أبو الفتح عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، مطبعة الدار الوطنية للطباعة والنشر ، (بغداد ، ١٩٩٠) ، ج٧ ، ص١١٢ .

(٢٩) ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد ٣ ، ص٦٦٤ ، ص٦٦٦ .

(٣٠) عيون الأنباء ، ج٢ ، ص١٥٠ .

(٣١)ابن الجوزي،المنتظم،ج٧،ص١١٣

(٣٢) ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد ١ ، ص٨٢٨ . (مادة خزن)

(٣٣) أبي العباس أحمد بن علي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، نسخة مصورة عن المطبعة الاميرية ، دون مطبعة ، دون تاريخ ، ج٥ ، ص٤٧٢١ .

(٣٤) عيون الأنباء في طبقات الاطباء ، المطبعة الوهبية ، طبعة أولى (دون مكان الطبع ، ١٨٨٢ م) ، ج١ ، ص٢٢١ .

(٣٥) ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق ، الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، (بيروت ، ١٩٦٨ م) ، ج١ ، ص٣٤٥ .

* باب محول : محلة كبيرة هي اليوم بجانب الكرخ ببغداد ، وكانت متصلة بالكرخ . ينظر ، الحموي ، شهاب الدين احمد (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) معجم البلدان ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٥٧م) ، مجلد٥ ، ص٦٦ .

(٣٦) الخطيب البغدادي ، أبو بكر احمد بن علي ، (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، دار الكتاب العربي ، دون تاريخ ، مجلد ١ ، ص١١٢ .

(٣٧) فروخ ، عمر ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص٨٩ ، ص٩٠ .

(٣٨) عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٤٣ .

(٣٩) م . ن ، ج٢ ، ص١٥٥ .

(٤٠) بك ، احمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ص٤١ .

(٤١) ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء ، ج١ ، ص٢٢٢ .

(٤٢) محمد بن علي بن قاسم بن مسعود ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق وتعليق د. علي سامي النشار ، منشورات وزارة الإعلام ، مطبعة دار الحرية ، (بغداد ، ١٩٧٧ م) ، ج٢ ، ص٣٣١ ، ص٣٣٢ .

(٤٣) صبح الأعشى ، ج٦ ، ص١٦٨ .

(٤٤) م . ن ، ج٣ ، ص٥٢١ .

(٤٥) تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٨٤ .

*** ابقراط : أو بقراط ويعرف بابي الطب ، عالم يوناني ولد بجزيرة كوس عام ٤٦٠ ق.م نقلت مؤلفاته إلى العربية ، ترجم حسنين بن إسحاق كتابه عهد ابقراط بتفسير جالينوس ، ينظر عطية الله ، القاموس الإسلامي ، مج١ ، ص١٥ .**

(٤٦) المقريزي،الخطط المقريزيه،ج٢، ص٤٠٥.

(٤٧)عفيفي، الوجود القبطي في القدس، ص١٠٠.

(٤٨)الخالدي ،احمد سامح، المعاهد المصريه في بيت المقدس، ص٥.
(٤٩)انجيل يوحنا، الاصحاح١٩،العدد ٢٠. العارف،المفصل، ص٧٣،ص٥٢٤.
(٥٠)المقريزي، الخطط،ج١، ص٩٨.أبن تغري بردي،النجوم الزاهره،ج٦، ص٣٣.
(٥١)ابن كثير،البدايه والنهايه،ج١٢، ص٣٣٥.ينظر:عيسى بك،أحمد، تاريخ البيمارستانات في الاسلام، ص٢٣٢.
(٥٢)م.ن ،ج١٢، ص٣٣٥_٣٣٦.ينظر:عيسى بك،أحمد، تاريخ البيمارستانات في الاسلام، ص٢٣٢.